الاستطاعة بين التقوى وإعداد القوة وأثرها في مواجهة التحديات

عيادة بن أيوب الكبيسي

الحمد لله رب العالمين، ناصر المؤمنين وقامع الظالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد المصطفى الأمين، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأحبابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد قرأت آيتين من كتاب الله تعالى، فوقفت عندهما أرددهما وأتأملهما، وأحاول أن أستشف وجه الربط بينهما، وذلك لوجود لفظ تكرر فيهما، يعطي معنى واحدا في كل منهما، وهذا اللفظ لم يرد بصيغته تلك إلا في هذين الموضعين من كتاب الله تعالى. والآيتان هما: قوله تعالى في مواجهة أعداء الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1]. وقوله تعالى في شأن التقوى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾[2]. فنجد أن لفظ ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ ورد في كلتا الآيتين ليحدد ما يلزم المسلم بذله هنا وهناك، وهو إتيان ما يستطيع بقدر الطاقة البشرية[3].

١- سورة الأنفال، الآية: ٦٠ وتمامها ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

٢- سورة التغابن، الآية: ٦.

٣- إن ورود الأمرين على هذا النحو قد يشير إلى ارتباطهما، وإلى علاقة وثيقة بينهما، فعلى المسلم أن يبذل غاية وسعه في امتثال الأمرين، وليعلم أنه لا بد للتقوى من قوة تحميها، ولا بد للقوة من تقوى تهذبها وتسددها، وذلك مطلوب من الأمة بمجموعها، إذ التقوى الفردية والقوة الفردية تنفع صاحبها، ولكن لا بد من التقوى الجماعية والقوة الجماعية، فبذلك يعلو شأن الأمة ويعز سلطانها.

وكما قلنا فإن هذا اللفظ الكريم ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ بالمعنى الذي بيّناه، لم يرد إلا في هاتين الآيتين من كتاب الله تعالى، وأما لفظ ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ الوارد في سورتي يونس ٣٨ وهود ١٣ ـ عليهما السلام ـ فإنه وإن كان بمعنى الاستطاعة المذكورة إلا أنه جاء على سبيل بيان العجز عن تحقيق ذلك، فلا يدخل فيما نحن فيه، وكذا لفظ ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ الوارد في قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾[٤] على ما لا يخفى، فانحصر طلب الفعل ـ على طريق الاستطاعة ـ في الآيتين المذكورتين وهو ما سنبينه في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

وإذا ما علمنا أن الاستطاعة مشروعة في جميع التكاليف، وأن قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ ينتظمها كلها، علمنا أن تخصيصها في نوع من التكاليف وهو إعداد القوة المبين في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، له شأن عظيم وخطر جسيم، وهو ما حدانا للكتابة في هذا الموضوع رجاء إبراز مقصد من مقاصد القرآن الكريم، الذي نسأل الله تعالى أن يجعل النفع به مقرونا في الدنيا والآخرة ـ آمين.

ورتبته إلى مقدمة وسبعة مطالب وخاتمة: أما المقدمة: فهذه ... وأما المطالب السبعة، فهي كالآتي:

١- تعريف الاستطاعة.

٢- تعريف القوة وبيان المراد بها في الآية.

٣- بيان معنى ﴿تُرْهِبُونَ﴾ والفرق بينه وبين الإرهاب بالمفهوم المعاصر.

٤- تعريف التقوى وبيان مراتبها.

٥- العلاقة بين التقوى وإعداد القوة، ووجه الربط بينهما، وفائدة تلازمهما، وخطر الفصل بينهما.

٦- الاستطاعة بين ماضي الأمة وحاضرها.

٧- أثر الاستطاعة فيما يواجه الأمة من تحديات.

وأما الخاتمة: فذكرت فيها أهم ما جاء في البحث من نتائج، ثم أردفت ذلك ببعض التوصيات.

٤- سورة الرحمن، الآية: ٣٣.

المطلب الأول: تعريف الاستطاعة:

الاستطاعة: مصدر استطاع بمعنى: أطاق، يقال: استطاع الشيء: أطاقه وقدر عليه وأمكنه، وربما قالوا: اسطاع يسطيع، يحذفون التاء استثقالا لها مع الطاء، وبعض العرب يقول: استاع يستيع فيحذفون الطاء، وبعض العرب يقول: أسطاع يُسطيع ـ بقطع الهمزة ـ بمعنى: أطاع يطيع[٥].

والاستطاعة: مشتقة من الطوع، كأنها كانت في الأصل: الاستطواع، فلما أسقطت الواو جعلت الهاء بدلا منها، مثل قياس: الاستعانة والاستعاذة. والعرب تقول: تطاوَعْ لهذا الأمر حتى تستطيعه، ثم يقولون: تطوّع أي: تكلف استطاعته[٦]. والاستطاعة: هي القدرة على الشيء، فهي والقدرة والقوة والوسع والطاقة متقاربة المعنى في اللغة[٧]. وقال الراغب[٨]: "وهي (أي الاستطاعة) عند المحققين: اسم للمعاني التي بها يتمكن الإنسان مما يريده من إحداث الفعل"[٩].

٥- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ج٣، ص٨٥، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، **مختار الصحاح**، صيدا، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، ط ٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص٤٠٠، إبراهيم أنيس وغيره، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ج٢، ص٥٧٠.

٦- حمد بن فارس بن زكرياء القزويني أبو الحسين الرازي، **مقاييس اللغة**، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ج٣، ص٤٣١، الصاحب إسماعيل بن عبّاد، **المحيط في اللغة**، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ج١، ص١٢٠، مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز بلطائف الكتاب العزيز**، المكتبة العلمية، بيروت، ج٣، ص٥٢٠.

٧- انظر: علي بن محمد بن علي الجرجاني، **التعريفات**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص٣٥، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٨، ص٢٤٢، المبارك بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط١، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، ج ٣، ص١٤٢.

٨- هو الإمام العلامة المفسر اللغوي، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، الملقب بالراغب الأصفهاني ـ أو الأصبهاني ـ من أهل أصبهان، سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي رحمهما الله تعالى، توفي ٥٠٢ هـ وقيل: غير ذلك. انظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م، ج٢، ص٢٥٥.

٩- انظر: الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٥٣٠، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز**، ج٣، ص٥٢١ مادة: طوع.

وهكذا نرى أن المعاجم تلتقي في تحديد معنى الاستطاعة، ومن خلال ما تقدم نستطيع أن نقول في تعريفها بأنها: التمكن من الإتيان بالفعل وفق الوسع. وهذا هو المعنى المقصود في قوله تعالى: ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُم﴾، وهو ما طلبه الشرع الشريف في جميع التكاليف الشرعية بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[١٠]. وتوضيح ذلك: أن من تمكن من الصوم ـ مثلا ـ دون أن يلحقه ضرر بيّن فهو مستطيع، لا عذر له في الإفطار، ومثله: الصلاة والحج وسائر العبادات، ومن تمكن من إعداد العدة في مواجهة أعداء الدين بما يدفع ضررهم بأنواع السلاح الحسي والمعنوي فهو مستطيع، لا عذر له في ترك شيء من ذلك.

وكما أن الأمر الأول شامل لكل أفراد الأمة فكذلك هنا، إذ الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ﴾ لجميع المؤمنين، كما يقول ابن عطية: "ويتأكد الأمر في حق ولاة الأمور لما منحهم الله تعالى من إمكانات وسلطات"[١١]، وذهب إلى مثل هذا ابن عاشور رحمه الله تعالى حيث قال: "ودخل في ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُم﴾ كل ما يدخل تحت قدرة الناس اتخاذه من العدة، والخطاب لجماعة المسلمين وولاة الأمر منهم، لأن ما يراد من الجماعة إنما يقوم بتنفيذه ولاة الأمور الذين هم وكلاء الأمة على مصالحها"[١٢].

ولا تخلو الأمة من مستطيع في إعداد القوة بما يوازي قوة العدو أو يفوق، لقوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، وإرهابهم ـ أي إخافتهم ـ لا يتم إلا بأن تمتلك الأمة من السلاح ما يمتلكون أو تتفوق عليهم[١٣]، وذلك لمنعهم من الاعتداء على المسلمين، لا للاعتداء عليهم ابتداء كما

١٠- سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

١١- انظر: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، الدوحة، قطر، ط ١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م، ج٦، ص٣٥٦.

١٢- انظر: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ، ج٦، ص٥٥.

١٣- وهذا أمر ممكن ولا ريب، وأذكر هنا حادثة حصلت عندما فرض الحصار على العراق، فقد حدثني من أثق به قال: كنا نستورد قطع الغيار لمعاملنا من البلاد الأوربية، فلما فرض الحصار امتنعوا عن تزويدنا بذلك، فاجتهد ذوو الخبرة من أبنائنا وباشروا بصناعة تلك القطع، فنجحوا بحمد الله تعالى نجاحا متفوقا، حيث إن قطع الغيار التي كنا نستوردها كانت تصلح نحو أسبوع أو أسبوعين، ولكن قطع الغيار المحلية تصلح إلى نحو ثلاثة أشهر!! أقول: هذا صحيح لأن العقل البشري واحد، بل العقل المسلم أقدر إذا ما أتيحت له الفرصة وهيئت له الأسباب، =

يفعل بعضهم اليوم من إرهاب الأمم والشعوب ظلمًا وعدوانًا.

وهو ما يسمى بالسلم المسلح، الذي يهدف إلى إحقاق الحق ونصرته، وإبطال الباطل وكبح جماحه، ويدعو إلى إيقاف الطغيان والبغي والعدوان، فهو ليس حربا تشن لزهق الأرواح، وتخريب الممتلكات، وتدمير الأوطان، ولا الاستسلام أما الطامعين الغزاة، إنما هو تخطيط سياسي حكيم، لدرء العدوان، ودفع الظلم والطغيان(١٤).

المطلب الثاني: تعريف القوة:

القوة ـ بضم القاف وتشديد الواو ـ: ضد الضعف، جمع قُوى ـ بضم القاف وكسرها ـ كالقواية ـ بالكسر ـ، قوي الضعيف (كرضي) قوة ـ كان ذا طاقة على العمل ـ فهو قوي، والجمع أقوياء، وقوي على الأمر: أطاقه، وتقوّى واقتوى وقوّاه الله تعالى تقوية، قال رؤبة: وقوة الله بها اقتوينا(١٥). والقوة: هي تمكن الحيوان من الأفعال الشاقة، وتقدم أنها تأتي بمعنى القدرة(١٦).

= ولأنه يمتاز ـ في الغالب ـ بالتقوى التي تزيد في مؤهّلاته لإتقان الإنتاج والتوفيق فيه قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ سورة البقرة، الآية:٢٨٢، والتجربة التي بدأها أسلافنا في الأندلس خير دليل على هذا، وقد كان "روم لا ندو" صادقا في وصف قدرة العرب على قيادة النهضة الحضارية الشاملة ما استمسكوا بدينهم وأقاموا وحدتهم إذ يقول: "لا يوجد سبب على وجه الإطلاق يبرر الزعم أن العربي فقد الصفات التي مكنت أجداده من أن يقيموا حضارتهم العظيمة، فهو لا يزال يملك تلك الرجولة والمروءة، وذلك الاستطلاع العقلي الحاد، وذلك الخيال المبدع"، وقد ضرب اللواء الركن محمد جمال الدين الذي نقل هذا النص عدة أمثلة من حرب رمضان ١٣٩٣هـ/ أكتوبر ١٩٧٣م في كتابه **المدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكرية الإسلامية**، دار الاعتصام، القاهرة، ص ٧، هامش١، تنهض دليلاً على ما لدى العرب من طاقات كامنة وقدرات علمية. والعقول المسلمة المهاجرة إلى الغرب ـ عربية وغير عربية ـ التي تسهم في صنع حضارته، دليل واضح على ذلك، والإنجاز الباكستاني العظيم في مجال القوة النووية على يد البطل الباكستاني المؤمن عبد القدير خان يغنينا عن إيراد شواهد أخرى على ما قلناه.

١٤- انظر: محمد علي الصابوني، **قبس من نور القرآن الكريم**، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٤، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج ٣، ص ١٥٩.

١٥- انظر: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ج٤، ص٥٥٢، ومحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١٠، ص٣٠٦، ومحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، **لسان العرب**، ج ١٥، ص٢٠٧، وإبراهيم أنيس وغيره، **المعجم الوسيط**، ج٢، ص٧٦٨، مادة: قوي.

١٦- انظر علي بن محمد بن علي الجرجاني، **التعريفات**، ص ٢٣١.

وقال ابن عاشور رحمه الله تعالى: "والقوة حقيقتها حالة في الجسم يتأتى له بها أن يعمل ما يشق عمله في المعتاد، فتكون في الأعضاء الظاهرة مثل قوة اليدين على الصنع الشديد، والرجلين على المشي الطويل، والعينين على النظر للمرئيات الدقيقة، وتكون في الأعضاء الباطنة مثل قوة الدماغ على التفكير الذي لا يستطيعه غالب الناس، وعلى حفظ ما يعجز عن حفظه غالب الناس، ومنه قولهم: قوة العقل"(١٧)، وقال: "وتطلق مجازا على شدة تأثير شيء ذي أثر، وتطلق ـ أيضًا ـ على سبب شدة التأثير، فقوة الجيش شدة وقعه على العدو، وقوته ـ أيضًا ـ سلاحه وعتاده، وهو المراد هنا"(١٨).

المراد بالقوة في الآية الكريمة:

ذهب العلماء في بيان المراد بالقوة في الآية الكريمة مذاهب، أظهرها: أن المراد بها الرمي لما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال على منبره ثلاثا: "ألا إن القوة الرمي"(١٩). ولو حملنا قوله صلى الله عليه وسلم: هذا على أنه حصر لمعنى الكلمة، وتحديد لبيان المراد منها، لما جاز لأحد أن يعمل فكره فيها، إذ لا بيان بعد بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن كثيرا من العلماء يرى: أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أراد بيان أهم أنواع الأسلحة وأكثرها أثرا، وأن قوله هذا نظير قوله صلى الله عليه وسلم: "الحج عرفة"(٢٠)، وقوله صلى الله عليه وسلم: "الندم توبة"(٢١).

١٧- انظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، **التحرير والتنوير**، ج ٩، ص ٩٩.

١٨- المصدر السابق، ج ١٠، ص٥٥.

١٩- أخرجه مسلم من حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله تعالى عنه برقم ١٩١٧ في كتاب الإمارة، باب: فضل الرمي والحث عليه، ج ٣، ص ١٥٢٢.

٢٠- أخرجه النسائي في: فرض الوقوف بعرفة، من حديث عبد الرحمن بن يعمر رضي الله تعالى عنه، ٥/ ٢٥٦، والترمذي برقم ٨٨٩ في كتاب الحج، باب: ٥٧ وقال: "والعمل على حديث عبد الرحمن بن يعمر عند أهل العلم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وغيرهم"، ج ٣، ص٢٣٧-٢٣٨، وأبو داود في المناسك بأطول منه برقم ١٩٤٩ باب: من لم يدرك عرفة، ٢/ ١٩٦، والحاكم في كتاب التفسير وقال: "هذا حديث صحيح ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي" مكتبة المعارف، الرياض، ج ٢، ص ٢٧٨.

٢١- أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، المكتب الإسلامي، بيروت، ١/ ٣٧٦، وفي النسخة المحققة برقم ٣٥٦٨ وقال الأستاذ أحمد شاكر رحمه الله تعالى: إسناده صحيح، ج ٥، ص ١٩٤، وأخرجه الحاكم وصححه في كتاب التوبة والإنابة، مختصراً ومطولاً، ووافقه الذهبي، ج ٤، ص ٢٤٣.

فكما أن ذكر عرفة لا ينفي اعتبار الإحرام والطواف وغيرهما من أركان الحج، وكما أن ذكر الندم لا ينفي اعتبار الاستغفار والإقلاع عن المعصية من لوازم التوبة، كذلك فإن ذكر الرمي لا ينفي اعتبار أيّ نوع من أنواع الأسلحة.

وإلى هذا ذهب الإمام ابن جرير الطبري حيث قال رحمه الله تعالى بعد أن ذكر الأقوال: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوّون به على جهاد عدوّه وعدوّهم من المشركين من السلاح والرمي وغير ذلك ورباط الخيل، ولا وجه لأن يقال: عنى بالقوة معنى دون معنى من معاني القوة، وقد عمّ الله الأمر بها.

فإن قال قائل: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بيّن أن ذلك مراد به الخصوص بقوله: "ألا إن القوة الرمي" قيل له: إن الخبر وإن كان قد جاء بذلك فليس في الخبر ما يدل على أنه مراد بها الرمي خاصة دون سائر معاني القوة عليهم، فإن الرمي أحد معاني القوة، لأنه إنما قيل في الخبر: "ألا إن القوة الرمي" ولم يقل: دون غيرها. ومن القوة أيضاً السيف والرمح والحربة، وكل ما كان معونة على قتال المشركين، كمعونة الرمي أو أبلغ من الرمي فيهم وفي النكاية منهم"(٢٢).

وقد ورد في تأكيد هذا العموم آثار متعددة، منها: ما أخرجه ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم الرازي رحمهما الله تعالى عن مجاهد: أن رجلاً لقيه وهو يتجهز إلى الغزو، ومعه جوالق(٢٣)، فقال مجاهد: "وهذا من القوة"(٢٤) وأخرجا عن السدي أنه قال: "السلاح"(٢٥). وذكر ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان أنه قال: "السلاح وما سواه من قوة الجهاد"(٢٦) وذكر عن أبي صخر حميد بن زياد أنه قال: "القوة:

٢٢- انظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار المعارف، مصر، ج١٤، ص٣٧، أقول: العجيب من الإمام الطبري رحمه الله تعالى أنه أورد الخبر المذكور من عدة طرق كلها ضعيفة، ثم قال بعد كلامه المتقدم: هذا من وهاء سند الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت تعلم أن الحديث صحيح، أخرجه مسلم وغيره بإسناد صحيح ـ كما تقدم في تخريجه.

٢٣- جوالق ـ بكسر الجيم واللام ـ، وبضم الجيم وفتح اللام وكسرها ـ: وعاء. انظر: إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ج٤، ص١٤٥٤، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ج ٣، ص ٣١٨ مادة: جلق.

٢٤- أخرجه ابن جرير برقم ١٦٢٣١، ج١٤، ص٣٤، وابن أبي حاتم برقم ٥٧٥، ج١، ص٤٨٢-٤٨٣، وإسناده ضعيف.

٢٥- أخرجه ابن جرير بإسناد حسن برقم ١٦٢٣٢، ج١٤، ص٣٤، وذكره ابن أبي حاتم برقم ٥٧٣، ج١، ص٤٨٢.

٢٦- ذكره ابن أبي حاتم برقم ٥٧٢، ج ١، ص٤٨١-٤٨٢.

العدة، إعداد ما استطعت لهم من عدة"[٢٧]، ونقله ابن الجوزي قولًا رابعًا ولم ينسبه، فقال: "... والرابع: أنه كل ما يتقوى به على حرب العدو من آلة الجهاد"[٢٨].

وبعد أن نقل ابن عطية ما تقدم عن الطبري ومجاهد رحمهم الله تعالى قال: "وهذا هو الصواب، والخيل والمركوب في الجملة والمحمول عليه من الحيوان والسلاح كله، والملابس الباهية، والآلات والنفقات كلها داخلة في القوة، وأمر المسلمون بإعداد ما استطاعوا من ذلك، ولما كانت الخيل هي أصل الحروب وأوزارها، والتي عقد الخير في نواصيها[٢٩]، وهي أقوى القوى، وحصون الفرسان، خصها الله بالذكر تشريفا، على نحو قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[٣٠]، وعلى نحو قوله: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[٣١] وهذا كثير"[٣٢].

وممن ذهب إلى عموم اللفظة أيضًا الإمام الرازي فقد قال ـ بعد أن ذكر الوجوه في ذلك ـ: "قال أصحاب المعاني: الأولى أن يقال: هذا عام في كل ما يتقوى به على حرب العدو، وكل ما هو آلة للغزو والجهاد فهو من جملة القوة. ثم قال: وهذه الأجوبة تدل على أن الاستعداد للجهاد بالنبل والسلاح وتعليم الفروسية والرمي فريضة، إلا أنه من فروض الكفايات"[٣٣]. وقال البقاعي: "أيّ قوة كانت، وفسرها

٢٧- ذكره ابن أبي حاتم برقم ٥٧٤، ج ١، ص٤٨٢.

٢٨- انظر: أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي المشهور بابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ج ٣، ص٣٧٥.

٢٩- إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: "الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"، أخرجه البخاري من حديث عروة بن الجعد رضي الله تعالى عنه برقم ٢٨٥٠ في كتاب الجهاد، ج ٧، ص٤٢٦، ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنه برقم ١٨٧١ في كتاب الإمارة، ج ٣، ص ١٤٩٢.

٣٠- سورة البقرة، الآية: ٩٨.

٣١- سورة الرحمن، الآية: ٦٨.

٣٢- انظر: عبد الحق بن عطية الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ٦/ ٣٥٧.

٣٣- انظر: محمد بن ضياء الدين عمر الرازي المشتهر بابن خطيب الري، **التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)**، دار الفكر، بيروت، ج١٥، ص١٩١-١٩٢، وانظر: بحثنا: "النصر في القرآن"، المنشور في **مجلة الأحمدية**، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، العدد الأول سنة، ١٤١٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٢٥-٢٦.

النبي صلى الله عليه وسلم بالرمي إشارة إلى أنه أعظم عدده على نحو "الحج عرفة"(٣٤)، وقال الآلوسي: "أي من كل ما يتقوى به في الحرب كائنا ما كان، وأطلق عليه القوة مبالغة، وذكر الحديث وقال: خص الرمي بالذكر لأنه أقوى ما يتقوى به، فهو من قبيل قوله صلى الله عليه وسلم: "الحج عرفة"(٣٥).

ومن المعاصرين: سيد قطب حيث قال: "والنص بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها"، إلى أن يقول: "ففي حدود الطاقة إلى أقصاها بحيث لا تقعد العصبة المسلمة عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتها"(٣٦). والدكتور الزحيلي حيث قال: "أي هيّئوا لقتال الأعداء ما أمكنكم من أنواع القوة المادية والمعنوية المناسبة لكل زمان ومكان"(٣٧). وللأستاذ اللواء الركن محمد جمال الدين علي محفوظ سلسلة طيبة في نظريات الإسلام العسكرية، وقد بسط القول في إعداد القوة التي ترهب العدو وبيان مصادرها، واستخلص من تحليل الآية الكريمة:

١- القوة الشاملة.

٢- القدرة الهجومية.

٣- سرعة الحركة المفاجأة.

٤- التأهب الدائم.

وقال: "فلقد ورد لفظ ﴿قُوَّةٍ﴾ في الآية الكريمة ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ مطلقا دون تحديد، وبذلك فهو يتسع ليشمل كل عناصر القوة ماديا ومعنويا، كالقوة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والنفسية بالإضافة إلى القوة العسكرية، وقد ربط الإسلام بين الإستراتيجية العسكرية والاقتصاد برباط وثيق، فالمال والاقتصاد عصب الحرب وعدة القوة الحربية بلا جدال.

٣٤- انظر: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ج ٨، ص ٣١٤.

٣٥- انظر: أبو الثناء السيد محمود الآلوسي البغدادي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ١٠، ص ٢٤-٢٥.

٣٦- انظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت، ج ٣، ص ١٥٤٣.

٣٧- انظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ج ١٠، ص ٤٩-٥٠.

ويتضح هذا الربط من ذكر ما يحتاج إليه إعداد القوة من مال وإنفاق في نفس الآية من سورة الأنفال: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ..."(٣٨).

المطلب الثالث: بيان معنى ﴿تُرْهِبُونَ﴾.

رهب كعلم يرهَب رهبة ورهبا ـ بالضم والفتح وبالتحريك، ورهبانا ـ بالضم والفتح ـ ورهبا بالتحريك: خاف، والاسم: الرهب ـ بالضم ـ، والرهبى بالفتح ويضم ويمدان، وأرهبه واسترهبه: أخافه وفزّعه، وترهبه: توعده. والمرهوب: الأسد كالراهب(٣٩)، وقال الراغب: "الرَّهبة والرُّهب والرَّهب: مخافة مع تحرز واضطراب، قال تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾..."(٤٠)، وفي **النهاية**: الرهبة: الخوف والفزع(٤١). ومما تقدم يتبين لنا: أن مادة رهب تدور على الخوف والفزع، وترهبون: تخيفون، وقد جاءت الكلمة في موقعها المناسب من سياق الآية الكريمة.

وقال البقاعي: "أي تخوفون تخويفًا عظيمًا باهرًا، يؤدي إلى الهرب على ما أجريت من العوائد"(٤٢). وقال ابن عاشور: و "الإرهاب: جعل الغير راهبا أي خائفا، فإن العدو إذا علم استعداد عدوه لقتاله خافه ولم يجرؤ عليه، فكان ذلك هناء للمسلمين وأمنا من أن يغزوهم عدوهم، فيكون الغزو بأيديهم، يغزون الأعداء متى أرادوا، وكان الحال أرفق لهم، وأيضاً إذا رهبوهم تجنبوا إعانة الأعداء عليهم"(٤٣).

٣٨- انظر: محمد جمال الدين علي محفوظ، **النظرية الإسلامية في الحرب النفسية**، دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩م، ص ٢٥-٢٦.

٣٩- انظر: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ج ١، ص ٢١٥، ومحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، **تاج العروس**، ٢/ ٥٣٧-٥٣٨، و الصاحب إسماعيل بن عبّاد، **المحيط في اللغة**، ج ٣، ص ٤٧٩.

٤٠- سورة الحشر، الآية: ١٣ وتمامها: ﴿فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾.

٤١- انظر: المبارك بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج ٢، ص ٢٨٠.

٤٢- انظر: إبراهيم بن عمر البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص٣١٤، وانظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج١٠، ص٤٩ وفيه: "من الإرهاب والترهيب: وهو الإيقاع في الرهبة وهي الخوف المقترن بالاضطراب".

٤٣- انظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، **التحرير والتنوير**، ج ٦، ص ٥٦-٥٧.

والإرهاب بهذا المفهوم أمر تقره الأعراف، وتتبناه الدول التي تنشد السلام، وهو غير الإرهاب الذي يتحدث عنه الناس اليوم. والإرهابيون في اصطلاح الناس اليوم: "وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب، لتحقيق أهدافهم السياسية"(٤٤). وهذا غير مراد في الآية الكريمة، إذ المراد فيها كما تقدم: إخافة فقط، وهو سبيل لمنع الحرب والحيلولة دون وقوع التخريب والدمار والعنف، لأن الإرهاب بالمفهوم الشرعي يحول دون القتال. وبهذا الإرهاب تباعد احتمال وقوع الحروب بين الدول الكبرى في العالم، وما جرى بين الهند وباكستان مؤخرا شاهد قوي على ما نقول، حيث تم حشد الجموع الكبيرة على حدود كل من البلدين بما ينذر بحرب شاملة، ولكن امتلاك كل من الدولتين للقوى النووية حال دون نشوب تلك الحرب(٤٥)، وهذا ما يعبّر عنه بإستراتيجية الردع(٤٦). ولهذه الإستراتيجية في الإسلام خصائص مميزة عديدة منها: أن التفوق الساحق لا يغري باستخدام القوة، ما دام العدو يمتنع من العدوان، أي: أن الأمة الإسلامية لا تتعدى حدود الردع ما دام يحقق الهدف منه وهو: إخافة العدو ومنعه من استخدام القوة، فهدف الردع هو: منع العدو من اتخاذ قرار باستخدام القوة، إذ القتال في الإسلام لم يشرع إلا لإعلاء كلمة الله تعالى، ودفاعا عن الأمة الإسلامية ضد الاعتداء(٤٧).

فائدة: في ربط هذه الآية بسابقتها:

الملاحظ أن هذه الآية الكريمة جاءت بعد قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾، وهي واردة لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ما بدأه به أعداؤه من الخيانة، وطمأنينة له وللمسلمين بأنهم سيدالون منهم، وتهديد للعدو بأن الله سيمكن المسلمين منهم، فما نجاتهم إلا في وقت قليل، فهم لا يعجزون الله، وليسوا بمفلتين من قبضته، وإنه سينتقم منهم في الدنيا أو في الآخرة، فلا يغرنك علوهم وكثرتهم، وجري كثير من الأمور على مرادهم، فكل ذلك بتدبير الله جل في علاه، لا يخرج شيء عن إرادته سبحانه وتعالى.

٤٤- أقرّ هذا التعريف مجمع اللغة العربية كما ذكر إبراهيم أنيس وغيره، **المعجم الوسيط**، ج ١، ص٣٧٦ مادة: رهب.

٤٥- كان ذلك أواخر عام ١٤٢٢ هـ ومطلع عام ٢٠٠٢م.

٤٦- انظر بحثنا: "النصر في القرآن.. الأسباب والمعوقات"، ص ٢٦-٢٧.

٤٧- انظر: محمد جمال الدين علي محفوظ، **المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية في الإسلام**، دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع، ص ١٠٦-١٠٧.

بعد هذا الوعد للمسلمين وطمأنتهم، والوعيد للكافرين وتوهين شأنهم، أعقبه بالأمر بالاستعداد لهم فقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ، لئلا يحسب المسلمون أن المشركين قد صاروا في مكنتهم، ويلزم من ذلك الاحتراس أن الاستعداد لهم هو سبب جعْل الله إياهم لا يعجزون الله ورسوله، لأن الله هيأ أسباب استئصالهم ظاهرها وباطنها، فتأمل(٤٨).

المطلب الرابع: تعريف التقوى:

التقوى: بمعنى الاتقاء، يقال: وقاه وَقْيا ووِقاية: صانه كوقّاه، واتقيت الشيء وتقَيْته أتّقيه، وأتْقيه تقى وتَقِيّة تِقاء ككساء: حذِرته، والاسم: التقوى، أصله: تقيا، قلبوه للفرق بين الاسم والصفة كخَزْيا وصَدْيا. وقول الله عز وجل: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾(٤٩) أي: أهل أن يُتّقى عقابه، ورجل تقيّ من أتقياء وتُقَواء(٥٠). وفي **النهاية**: وقيت الشيء أقيه: إذا صنته وسترته عن الأذى(٥١). فالتقوى في اللغة: بمعنى الاتقاء، وهو اتخاذ الوقاية(٥٢)، والوقاية: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضرّه، يقال: وقيت الشيء أقيه وقاية ووَقاء(٥٣).

وأما في الاصطلاح: فقد تعددت أقوال العلماء في تعريف التقوى، فمن ذلك:

١- أنها المحافظة على آداب الشريعة.

٢- أن يتقي العبد ما سوى الله تعالى.

٣- ترك حظوظ النفس ومباينة النُّهى.

٤- أن لا ترى نفسك خيرا من أحد.

٤٨- انظر: محمد بن ضياء الدين عمر الرازي، **التفسير الكبير**، ج ١٥، ص١٩٠-١٩١، إبراهيم بن عمر البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٨، ص ٣١٤، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، **التحرير والتنوير**، ج١٠، ص٥٣ و٥٥، مصطفى الخيري المنصوري، **المقتطف من عيون التفاسير**، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج٢، ص ٣٥٠.

٤٩- سورة المدثر، الآية: ٥٦.

٥٠- انظر: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ج٤، ص ٥٨٢.

٥١- انظر: المبارك بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج٥، ص٢١٧ مادة "وقا"، قال: "وقد تكرر ذكر الاتقاء في الحديث، ومنه حديث علي رضي الله تعالى عنه: "كنا إذا احمرّ البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم: أي جعلناه وقاية لنا من العدوّ".

٥٢- انظر: علي بن محمد بن علي الجرجاني، **التعريفات**، ص ٩٠.

٥٣- انظر: الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص ٨٨١.

٥- الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك.

٦- حفظ النفس عما يُؤْثِم، وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات عند الضرورة(٥٤).

٧- التقوى فيما وقع من المكروهات بالندم والإقلاع مع العزم على ترك العود، وفيما لم يقع بالاحتراس عن أسبابه(٥٥).

ونختار من هذه التعريفات ما تلتقي عليه، وهو: المحافظة على آداب الشريعة، وذلك بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، والتسليم للقضاء والقدر. وبذلك تصان النفس عن عقوبة الله تعالى وأسباب سخطه.

ثم إن التقوى مراتب:

أدناها: اتقاء الشرك بالله، وأعلاها: اتقاء ما سوى الله سبحانه وتعالى(٥٦)، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا لما به البأس"(٥٧).

والمراد بالتقوى المأمور بها في الآية الكريمة: بذل الجهد والوسع، أي ابذلوا فيها استطاعتكم، والزموا أوامر الله تعالى ونواهيه، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، والعمل بما يقرب إليه ما أطقتم وبلغه وسعكم(٥٨)، قال مقاتل: "أي ما أطقتم، يجتهد المؤمن في تقوى الله ما استطاع"(٥٩)، وذلك عين ما يراد

٥٤- انظر في هذا: علي بن محمد بن علي الجرجاني، **التعريفات**، ص٩٠، والحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص ٨٨١.

٥٥- انظر: إبراهيم بن عمر البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٢٠، ص ١٣٣.

٥٦- انظر ما كتبناه عن التقوى في: **دعائم السلوك الأمثل من الكتاب والسنة** ـ دعامة: اكتساب التقوى، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص ٧١.

٥٧- أخرجه الترمذي من حديث عطية السعدي رضي الله تعالى عنه برقم ٢٤٥١ وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ج٤، ص٦٣٤، وابن ماجه برقم ٤٢١٥ في كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، ج٢، ص١٤٠٩، والحاكم في كتاب الرقاق وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي"، ج٤، ص٣١٩، والبيهقي في **شعب الإيمان** برقم ٥٧٤٥، الفصل الثالث في طيب المطعم والملبس، ج٥، ص٥٢.

٥٨- انظر: محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان**، دار الفكر، ج٢٨، ص١٢٧، وأبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ٤/ ١١٦، ومحمد جمال الدين القاسمي، **محاسن التأويل**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ج ٧، ص ١٥، و وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج ٢٨، ص ٢٥٥.

٥٩- انظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٤، ص ٥٨٩.

بها في الآيات الأخرى، وهو ما تم اختياره في تعريفها، وذلك واجب كل مسلم ومسلمة، وهم يتفاوتون في التقوى بقدر ما يتحلون به من مراتبها.

ومما ينبغي التنبيه عليه: أن التقوى لا تعني العصمة، فإن المتقي قد يعصي، غير أنه لا يصر على المعصية، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾(٦٠)، ومن هنا نقول: إن المصيبة ليست في المعصية إنما في الإصرار عليها. فالتذكّر والإبصار من التقوى، وهذا من معاني الاستقامة المستفادة من ﴿مَا﴾ المصدرية الظرفية، وهو ما أشار إليه ابن عاشور رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُم ﴾ حيث قال: "ما مصدرية ظرفية، أي مدة استطاعتكم، ليعم الأزمان كلها،ويعم الأحوال تبعا لعموم الأزمان، ويعم الاستطاعات، فلا يتخلوا عن التقوى في شيء من الأزمان"(٦١).

ومن التقوى: الدعوة إلى هذا الدين، ونشره بين العالمين، وذلك يندرج تحت بند "اتباع الأوامر" المتقدم في تعريف التقوى، إذ من الأوامر الإلهية قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾(٦٢)، والخطاب وإن كان موجها إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنه يعم الأمة كلها إذ لا دليل على التخصيص، يؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(٦٣)، ومن المعلوم من قواعد الشرع أن الأمة نائبة عن نبيّها صلى الله عليه وسلم، كما هو واضح من قوله تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾(٦٤)، جاء في تفسيرها عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى أنه قال: "من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم وكلّمه"(٦٥)، ومن

٦٠- سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

٦١- انظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، **التحرير والتنوير**، ج ٢٨، ص ٢٨٧-٢٨٨.

٦٢- سورة النحل، الآية: ١٢٥.

٦٣- سورة فصلت، الآية: ٣٣.

٦٤- سورة الأنعام، الآية: ١٩.

٦٥- أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن لغيره برقم ٩٨، ج١، ص١١٠، وأخرجه بمعناه وبأطول منه عن الربيع بن أنس بسند حسن برقم ١٠٠، ج١، ص١١٣، وابن جرير برقم ١٣١٢٠و١٢١٢٤، ج ١١، ص١٢٩، وهو في **تفسير مجاهد**، ص ٢١٣، وإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٢، ص ٢٠٣.

المعلوم أيضًا أنه بعد انتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى فإن أمانة التبليغ تتحملها أمته من بعده صلوات الله وسلامه عليه.

أقسام الدعوة:

يمكن أن نقسم الدعوة ـ هنا ـ إلى قسمين: دعوة فردية، ودعوة جماعية.

أما الدعوة الفردية: فهي التي ابتدأها صلى الله عليه وسلم، وقام بها صلى الله عليه وسلم خير قيام، فقد كان يعرض نفسه على القبائل والأشخاص يدعوهم إلى الله تعالى، ولم يكن ما لاقاه صلى الله عليه وسلم من صنوف الأذى وألوان العذاب حسا ومعنى، ليعوقه عن تبليغ ما كلفه الله تعالى به، أو يصده عن ذلك طرفة عين، وهو القائل صلى الله عليه وسلم: "لقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد"(٦٦)، وسيرته العطرة صلى الله عليه وسلم طافحة بنماذج كثيرة من ذلك.

ونستطيع القول بأن هذه الدعوة قائمة في الأمة لم تنقطع، فلم يزل أفراد من هذه الأمة يقومون بواجب الدعوة الفردية، سواء مع الكفرة في دعوتهم إلى الإسلام، أم مع عصاة المسلمين في دعوتهم إلى التمسك بالدين، والحرص على التزام أحكامه والتحلي بآدابه، وهم في هذا متفاوتون نشاطا وضعفا. ولهذه الدعوة أهمية كبرى، وفوائدها لا تحصى، فعلى كل مسلم أن يحاسب نفسه ليرى ما نصيبه من ذلك، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: "فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم"(٦٧)(٦٨)، وكم فرح النبي صلى الله عليه وسلم عندما أسلم ذلك الغلام اليهودي، حتى إنه صلى الله عليه وسلم أعرب عن فرحه بقوله صلى الله عليه وسلم: الحمد الله الذي أنقذه بي من النار، ففي الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: "كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فقعد عند رأسه فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع

٦٦- أخرجه الترمذي برقم ٢٤٧٢ وقال: "حسن غريب"، ج ٤، ص٥٥٦.

٦٧- حمر النعم ـ بسكون الميم من حمر وفتح النون والعين من النعم ـ: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه. انظر: النووي **شرح صحيح مسلم**، ج ١٥، ص ١٧٣، وابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، دار أبي حيان، بيروت، ج ٧، ص ٤٧٨.

٦٨- متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ٣٧٠١، ج ٧، ص٧٠، ومسلم برقم ٢٤٠٦، ج ٤، ص ١٨٧٢ في كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

أبا القاسم صلى الله عليه وسلم فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار، وفي رواية: أنقذه بي من النار"(٦٩).

وأما الدعوة الجماعية:

فهي التي أسسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد دخول الناس في دين الله، ووجود الجماعة الصادقة من أصحابه رضي الله تعالى عنهم، حيث كان يكلفهم صلى الله عليه وسلم بإرشاد الناس وتوجيههم، وهو الذي أرسل مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه قبل هجرته إلى المدينة المنورة، وهو الذي أرسل معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن، وكم من صحابي كان يقول له: أنت نذير قومك، والمرسل في هذه النماذج ونحوها وإن كان واحدا إلا أن ذلك إنما تم عن تنظيم دقيق، وهو مرتبط بالقيادة العليا، وفق ضوابط وأسس واضحة، وتوجيهات سديدة، كما هو مبين في كتب السيرة وفقهها.

ونستطيع القول ـ أيضًا ـ بأن هذه الدعوة مستمرة في الأمة، وإن كانت تتفاوت نشاطا وضعفا، وتقيدا وإخلالا بالضوابط أو تفلتا منها، مع تغاير في الأسلوب والطريقة والمنهج.

المطلب الخامس: العلاقة بين التقوى وإعداد القوة:

وبعد أن عرفنا المراد بإعداد القوة المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، والمراد بالتقوى المشار إليه في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾، وعرفنا المراد بالاستطاعة في الموضعين، نذكر في هذه الفقرة وجه الربط بينهما، وفائدة تلازمهما، وخطر الفصل بينهما، إذ هو المقصود الأهم في كتابة هذا البحث، فنقول مستمدين من الله تعالى الفتح والتوفيق: نرى أن العلاقة بين 'ما' في الآيتين الكريمتين علاقة عموم وخصوص، حيث إن كل من بذل المستطاع في تحقيق تقوى الله تعالى، لا بد أن يكون قد بذل المستطاع في إعداد القوة ولا عكس، ذاك لأن إعداد القوة أمر من الله تعالى ـ كما هو بين ـ، ومن أركان التقوى امتثال أوامر الله تعالى ـ كما تقدم في تعريفها ـ، فمن قصّر في هذا مع استطاعته لم يكن ممن تحقق بالتقوى على الوجه المطلوب، والله تعالى يعذر غير المستطيع.

وأما إعداد القوة: فليس من لوازمه ذلك، إذ قد يبذل المرء جهده في إعداد القوة لمواجهة عدوه ولم يكن تقيا لتفريطه فيما سوى هذا من أوامر الله تعالى، بل قد يأثم في إعداد تلك القوة لفساد نيته. إن غير

٦٩- أخرجه البخاري برقم ١٣٥٦ في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، ج٤، ص٣٥٨، وانظر: الحافظ ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج ٤، ص٣٦٢.

التقي إذا ملك القوة قد يتصرف بها وفق هواه وشهوته، وربما أضر بشعبه وأمته، وقد يتهور فيجلب على وطنه الويلات ويوقع أهله في المهالك، ويعرضهم للنكبات، وإن شيئا من هذا لم يكن ليقع لو كانت هناك تقوى، إذ إنها تحتم على صاحبها أن يستعمل القوة في وجهها الصحيح وفق المعايير الشرعية، لأنها تعمل على تزكية النفس فتجعلها منضبطة متزنة، تسير على هدى من الله تعالى وتوفيق من غير إفراط ولا تفريط. من هنا نرى أن الآيتين الكريمتين تشكلان مقصدا مهما من مقاصد القرآن، يجعل الشخصية المسلمة ذات صبغة خاصة تميزها عن غيرها، فهي تقية قوية، وقوية تقية، فالتقوى تمنع غالبا من الخمول والكسل، والجبن والتقاعس، وتدعو إلى بذل الجهد والمنافسة لبلوغ ما تستطيع في كبح جماح أعداء الدين وإرهابهم، رحمة لا نقمة، وطلبا للهداية والسلام، لا طمعا في الحرب والهيمنة والاستبداد.

وإذاما تم في حياة الأمة "التقوى وإعداد القوة" فإنها تكون بذلك قد أدت ما عليها مما كلفها الله تعالى به، وهي بعد ذلك ليست مسؤولة عن النتائج، لأن من لوازم التقوى التسليم لما يقدره الله تعالى، فإن كان النصر وتم التمكين فتشكر الله تعالى وتطيعه في ذلك، عملا بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾(٧٠)، فترسي قواعد العدل بين عباد الله على أرض الله وفق شرع الله، متأسية برسول الله صلى الله عليه وسلم حين مكنه الله تعالى في مكة المكرمة، حيث أعلن سماحة الإسلام، ودخل مكة في غاية التواضع لله تعالى، وعفا عمن ظلمه صلى الله عليه وسلم، ولكنه لم يتساهل مع من يستحق العقاب من المتعنتين وهم بضعة عشر رجلا كانوا ممن عظمت جرائمهم في حق الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وحق الإسلام، فأمر صلى الله عليه وسلم بقتلهم وإن وجدوا متعلقين بأستار الكعبة(٧١)، كما جاء في سيرته العطرة صلى الله عليه وسلم(٧٢)،

٧٠- سورة الحج، الآية: ٤١.

٧١- فقد أخرج البخاري برقم ٤٢٨٦ عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: "أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاء رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: اقتله، قال مالك: ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فيما نرى ـ والله أعلم ـ يومئذ محرما"، كتاب المغازي، باب: أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح، ج ٩، ص٥٧٣، وأخرجه في كتاب جزاء الصيد، باب: دخول الحرم ومكة بغير إحرام رقم ١٨٤٦، وذكر الحافظ ابن حجر سبب قتله، ونقل عن ابن عبد البر: أنه قتله قودا من دم المسلم الذي غدر به وقتله ثم ارتد، وذكر أسماء الذين لم يؤمنهم النبي صلى الله عليه وسلم لا في حل ولا في حرم، والنفر الذين أهدر دمهم النبي صلى الله عليه وسلم قبل الفتح، وذكر من أسلم منهم كعكرمة بن أبي جهل وغيره. انظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ج٥، ص٤٧٩-٥٠٠.... =

وهكذا علم صلى الله عليه وسلم أتباعه ـ وهو سيد المتقين ـ، كيف تعمل التقوى عملها في تحقيق العدل والرحمة من غير ذلة ولا تفريط بالحقوق.

وإن كانت الأخرى، فلم يتم النصر، فإن التقوى تدعو حينئذ إلى الصبر والتسليم، لأنها علّمت المسلم أن ذلك لا يكون إلا لحكمة يعلمها الله تعالى، أو مصلحة خفيت على الناس، أو خلل لم ينتبهوا له، فما يسعهم بعد أن أخذوا بالأسباب على ما يريد الله تعالى إلا أن يقولوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾(٧٣)، متأملين قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(٧٤)، مصممين على المضي في نصر الله وإعزاز دينه، قائلين ما علّمهم ربهم أن يقولوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾(٧٥). فيكون المسلم في كلتا الحالتين على هدى من الله، لا يخرج عن الخير الذي أخبر عنه صلى الله عليه وسلم: "عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سرّاءُ شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضرّاءُ صبر فكان خيرا له"(٧٦).

من المخاطب بقوله تعالى: ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُم﴾؟

الخطاب في قوله تعالى: ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُم﴾ في كلتا الآيتين الكريمتين متوجه إلى كل مسلم، وقد سبق ذلك بالأمر المفيد للوجوب فيهما وهو: ﴿وَأَعِدُّوا۟﴾، ﴿فَأَنفَقُوا۟﴾، فلا تبرأ ذمة المسلم إلا ببذل ما يستطيع من ذلك، وفي هذا القيد: ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُم﴾ يتجلّى لطف الله بعباده، وعلمه بمدى طاقتهم في

٧٢- انظر: محمد محمد أبو شهبة، **السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة**، دار القلم، دمشق، ط ٣، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج٢، ص٤٥١، وقال: ومن هؤلاء من قتل، ومنهم من جاء مسلما تائبا فعفا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وحسن إسلامه. وانظر: علي محمد محمد الصلابي، **السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث**، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط ١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج٢، ص ١١٨٣.

٧٣- سورة البقرة، الآية: ١٥٦ وهي بتمامها مع التي بعدها: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾.

٧٤- سورة التوبة، الآية: ٥١.

٧٥- سورة آل عمران، الآية: ١٧٣ وتمام الآية: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

٧٦- أخرجه مسلم برقم ٢٩٩٩ من حديث صهيب بن سنان رضي الله تعالى عنه.

تقواه وطاعته[٧٧]، وبذل الإنسان جهده هو الاتقاء حق التقاة المذكور في قوله تعالى: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾ فهو تفسير له فلا نسخ[٧٨]. والاستطاعة تختلف باختلاف الأشخاص وتفاوت قدراتهم وحالاتهم، وهي على درجات، نذكر بعضها في الفقرة الآتية:

درجات الاستطاعة:

حين نتأمل الاستطاعة نجد أنها في مجال إعداد القوة أظهر منها في مجال التقوى، ذاك أن أمر التقوى بيّن، سواء في العبادات أم المعاملات، فإن المسلم يؤدي فرائض الله تعالى على ما يستطيع، كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: "يصلّي الرجل قائمًا فإن لم يستطع فجالسًا فإن لم يستطع فعلى جنب"[٧٩]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[٨٠]. وهذا الحكم يتناول كل أفراد الأمة رجالهم ونسائهم، على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم وتنوع ثقافاتهم.

وأما إعداد القوة: فالخطاب وإن توجه إلى جميع الأمة ـ كما تقدم ـ، إلا أن الاستطاعة فيه متنوعة، وأفراد الأمة في هذا متفاوتون، غير أن من كان عنده علم بطرق الإعداد كان الطلب في حقه آكد، وهكذا يتأكد الطلب كلما كثر العلم وأمكن الإعداد، وإن ولاة الأمر من الملوك والرؤساء والأمراء ونحوهم ينالهم من ذلك النصيب الأوفر، إذ هم الملزمون بتهيئة المتطلبات اللازمة على المستويات كافة، من ذلك: إنشاء المعاهد والجامعات المتخصصة، ومتابعة سير العمل في ذلك بحزم، وانتقاء ذوي الكفاءات في هذا الشأن، واختيار ذوي النباهة والذكاء والمواهب من الطلبة، وتوفير ما يلزمهم من متطلبات، وتشجيعهم على الإنتاج والإبداع، مع إلزامهم بمتطلبات من الدروس الشرعية والتربوية، والبرامج العملية التي تكسبهم التقوى في ضوء ما تقدم، إذ أن إغفال هذه الجوانب الروحية أضر بالأمة في أزمنتها المتأخرة ـ كما

٧٧- انظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٥٩٠.

٧٨- انظر: إبراهيم بن عمر البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٢٠، ص ١٣٣، ومصطفى الخيري المنصوري، **المقتطف من عيون التفاسير**، ج٥، ص٢٦٢.

٧٩- أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب: إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب، برقم ١١١٧، بلفظ: "صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب".

٨٠- أخرجه مسلم برقم ٤٩ في كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ج ١، ص ٦٩.

لا يخفى ـ، وهو ما روج له أعداؤها من فصل بين الدين والدولة، فأصبح ذوو الاختراع والإبداع، وكثير من قادة الجيوش وذوي المراتب العليا في الدول الإسلامية على جانب ضعيف جدا في التقوى أو إنها منعدمة تماما، وكأنه لا يلزمهم من الإسلام إلا أن يتسموا بأسماء المسلمين، وينتسبوا إلى بلاد المسلمين!

ويلحق بولاة الأمور الآباء والأمهات، إذ هم مكلفون بمتابعة أولادهم، وتنمية قدراتهم، والأخذ بأيديهم لمواصلة ما يتفق مع رغباتهم في التحصيل العلمي، وتبيين النافع لهم والمفيد من العلوم، مع ضرورة الحرص على أن يكونوا أتقياء بررة. ومن الأمور المهمة أن يعلم الصغار النية الحسنة في كل تصرفاتهم، بما فيها الألعاب الرياضية والمسابقات البدنية والعلمية، فيقال لهم: إن هذا كله إنما يراد لنصرة الدين، فيتم ترويض نفوسهم مع ترويض أجسادهم، وبالمتابعة الدقيقة تتم الرياضة الروحية والبدنية، فينشأ الشاب قويا في روحه وبدنه.

ومن درجات الاستطاعة: الحث على ما تقدم والتذكير به، والمحاسبة عليه كل من منطلقه عملا بقوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٨١]، ويتأكد هذا في حق القائمين على وسائل الإعلام، والدعاة والعلماء وذوي الفكر وأصحاب الأقلام ورجال السياسة، استنهاضا للهمم، وانتشالا من التقاعس، لتكون الأمة سباقة في هذه الميادين، غير متأخرة عن ركب الأمم، ولا عالة على غيرها في شيء من ذلك.

المطلب السادس: الاستطاعة بين ماضي الأمة وحاضرها:

لا يخفى على قارئ تاريخ المسلمين منذ أن جاء الإسلام إلى زماننا الحاضر، أن ثمة تفاوتا في تحقيق الاستطاعة في الأمرين بين هذه القرون التي بلغت أربعة عشر قرنا وربع القرن من الزمان أو يزيد، فقد كانت العصور الأولى الزاهرة مثالا ناصعا لتحقيق الاستطاعة على الوجه الذي أراده الله تعالى، فقد ربى النبي صلى الله عليه وسلم صحابته الكرام رضي الله تعالى عنهم على ذلك، حيث فسر لهم الاستطاعة بقوله وعمله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ، وكان يردهم إليها كلما حصل منهم في ذلك إفراط أو تفريط.

فنقرأ في سيرته صلى الله عليه وسلم أنه قال لعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: "نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل"[٨٢]، وقال للنفر الذين أتوا بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

٨١- سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

٨٢- أخرجه مسلم برقم ٢٤٧٩ في كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، ج٤، ص١٩٢٧-١٩٢٨ وذلك في تفسير رؤيا رآها، قال سالم: "فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا".

يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها! فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"(٨٣).

ونهى عن الوصال في الصوم فقال صلى الله عليه وسلم: "إياكم والوصال، قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله! قال: إنكم لستم في ذلك مثلي، أنا أبيت يطعمني ربي ويسقيني، فاكلَفوا من الأعمال ما تطيقون"(٨٤). وقد علّمهم في البيعة أن يراعوا ذلك، ففي الصحيح عن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: "بايعت النبيّ صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، فلقّنني: "فيما استطعت"، والنصح لكل مسلم"(٨٥)، وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: "كنا إذا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة يقول لنا: فيما استطعتم"(٨٦).

ونقرأ ـ أيضًا ـ: أنه لما قال المشركون: يقدم عليكم وفد وهنتهم حمّى يثرب، وتطلعوا من رؤوس الجبال ليروا الذين أضعفتهم الحمّى والغربة، أنه صلى الله عليه وسلم لما علم بهذه المقالة اضطبع بردائه وصار يهرول(٨٧)، وأمر المسلمين أن يضطبعوا ويهرولوا، وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضي الله

٨٣- متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ٥٠٦٣ في كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح، ج١١، ص٣٤٠، ومسلم برقم ١٤٠١ في الكتاب والباب السابقين، وفيه: "قال بعضهم: لا آكل اللحم"، ج٢، ص١٠٢٠.

٨٤- أخرجه مسلم برقم ١١٠٢ بألفاظ مختلفة في كتاب الصوم باب: النهي عن الوصال في الصوم، ج٢، ص٧٧٤-٧٧٥.

٨٥- متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ٧٢٠٤ في كتاب الأحكام، باب: كيف يبايع الإمام، ج١٦، ص٥٨٦، ومسلم برقم ٥٦ في كتاب الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة.

٨٦- متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ٧٢٠٢ في الكتاب والباب السابقين، ومسلم برقم ١٨٦٧ في كتاب الإمارة باب: البيعة على السمع والطاعة فيما استطاع.

٨٧- الاضطباع: مأخوذ من الضبع وهو العضد، وهو أن يأخذ الإزار أو البرد فيجعل وسطه تحت إبطه الأيمن، ويلقي طرفيه على كتفه الأيسر من جهتي صدره وظهره، وسمّي بذلك لإبداء الضبعين، ويقال للإبط الضبع للمجاورة. انظر: المبارك بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج ٣، ص٧٣، وجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، **لسان العرب**، ج٨، ص٢١٦ مادة: ضبع. والمراد بالهرولة: الرمل ـ بالتحريك ـ، وهو الإسراع في المشي مع هزّ المنكبين، وهو مسنون في بعض الأطواف دون بعض. انظر: المبارك بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج٢، ص٢٦٥. وجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، **لسان العرب**، ج١١، ص٢٩٥ مادة: رمل.

تعالى عنهم: "رحم الله امرءا أراهم اليوم من نفسه قوة"(٨٨)، ودخل مكة في الفتح دخول المتواضعين لا دخول الفاتحين المتغطرسين، والأمثلة على هذا كثيرة، وكلها دالة على تحقيق منهج الوسطية التي جاء بها الإسلام، سواء في ذلك أمور الدنيا والآخرة.

وقد سار الصحابة رضي الله تعالى عنهم وفق تلك التوجيهات، وتحلوا بتلك الآداب، وعلى ما تربّوا ربّوا تلاميذهم، فسرى الخير في أفراد الأمة عبر القرون، مع تفاوت في ذلك من حيث التقيد والالتزام بتلك القواعد والتوجيهات. ومما نذكّر به هنا: أن الله تعالى خص أفرادا خمسة في هذه الأمة ـ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ تمثل فيهم الكمال الإنساني، حيث كان كل فرد منهم في عهده أمة يقتدى به في كل خلق ديني أو دنيوي، وهم: أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين، وعلي الكرار رضي الله تعالى عنهم، ويلحق بهم المجدد الأول عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى ـ كما يقول ابن حجر ـ باتصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها(٨٩).

فنجد كل واحد من هؤلاء في زمانه هو: القائد العسكري، والحاكم الأعلى في الدولة الإسلامية، والمرشد المربي، والفقيه المفتي، والتقي العابد الزاهد، ونحو ذلك من صفات الكمال البشري، فكان قدوة خلقا وهديا، وأسوة حسنة في كل كمال، ما لا نجده في غير هؤلاء من أفراد الأمة، حيث تفرقت فيهم الكمالات، فقد نجد القائد ولا نجد فيه الفقيه، وقد نجد الحاكم ولا نجد فيه المرشد والمربي، وبالعكس، فلم يعد المجدد الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل

٨٨- متفق عليه بمعناه، أخرجه البخاري برقم ٤٢٥٦، ومسلم برقم ١٢٦٦، وأحمد ج١، ص٢٢٩ بنحوه، وذكره ابن هشام بلفظه في **سيرته**، تحقيق: مصطفى السقا وغيره، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، ج ٢، ص ٣٧١ في عمرة القضاء، وابن كثير في **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ج٦، ص ٣٧٥، وانظر: محمد محمد أبو شهبة، **السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة**، ص ٣٧٧، قال: "وهي مشية تنم عن القوة والفتوة، وهذا أصل السنة، ثم أبقاها الشارع لما فيها من التذكير بنعمة الله على المسلمين، حيث أعزهم بعد ذلة، وقوّاهم بعد ضعف، ونصرهم ومكّن لهم في الأرض بعد ضيعة"، هامش ٢.

٨٩- انظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ج ١٧، ص ١٢٧.

مائة سنة من يجدد لها دينها"[٩٠]، جامعًا لهذه الصفات، فقد يكون متصفا ببعض تلك الصفات كأن يكون فقيهًا أو محدثًا أو قارئًا أو واعظًا. قال ابن حجر ـ بعد ذكر عمر بن عبد العزيز كما تقدم ـ: "ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه، أما من جاء بعده فالشافعي وإن كان متصفا بالصفات الجميلة إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل، فعلى هذا كل من كان متصفا بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المراد سواء تعدد أم لا"[٩١]، وهذا مما اقتضى الأمة أن تعود إلى سيرة أسلافها، وأن تتعاون على البر والتقوى، وأن يكون التواصل قائما بين الفقيه والقائم بالأمر والزاهد والمرشد والمربي وغيرهم ممن اختصه الله تعالى بشيء من تلك الصفات المحتاج إلى تجديدها.

وقد كان هذا حاصلا في العصور الزاهرة، حيث كان الحاكم يرجع إلى الفقيه ويأخذ عنه الأحكام التي يسيّر في ضوئها شؤون الدولة الإسلامية، وهكذا، بمعنى أنه لا استبداد بالرأي ولا ما يسمى في عصرنا بـ: "الدكتاتورية"، بل هناك شورى وتناصح وتعاون على البر والتقوى، حتى دبّ في الأمة داء الأمم من قبلها، فحصل الانفصال، وإعجاب كل ذي رأي برأيه لا سيما الحاكم، الذي ربما جرّ على أمته ويلات الحروب والدمار بسبب تصرفه الفردي وعدم الرجوع إلى هدي الشرع فيما يأخذ أو يذر، وعدم استشارته أهل الفقه والاختصاص.

٩٠- أخرجه أبو داود برقم ٤٢٩١ من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في كتاب الملاحم، باب: ما يذكر في قرن المائة، ج٥، ص٣٥، والطبراني في **الأوسط** برقم ٦٥٢٣، ج٧، ص٢٧٢، بسند صحيح ورجاله كلهم ثقات كما يقول ملا علي القاري في **المرقاة شرح المشكاة**، ج١، ص٣٠٢، والخطيب البغدادي في ترجمة الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه، ج٢، ص٦١-٦٢، والحاكم في كتاب الفتن والملاحم وسكت عنه وتبعه الذهبي، ج٤، ص٥٢٢، ولكن قال المناوي في **فيض القدير**، ج ٢، ص٢٨١- ٢٨٢ رقم ١٨٤٥، وملا علي القاري في **شرح المشكاة**، ج١، ص٣٠٢، والعجلوني في **كشف الخفا**، ج١، ص٢٤٣: "إن الحاكم صححه"، ونقل المناوي ـ أيضًا ـ عن الزين العراقي وغيره أنه قال: "سنده صحيح"، وذكره ولي الدين التبريزي في **مشكاة المصابيح** برقم ٢٤٧ في كتاب العلم، ج١، ص٨٢ وقال: رواه أبو داود، و ابن كثير في مواضع من كتابه **البداية والنهاية** فقد ذكره في الأخبار عن أمور وقعت في دولة بني العباس، ج٦، ص٢٨٩، وفي ترجمة الإمام الشافعي، ج ١٠، ص٢٥٣، وفي ترجمة عمر بن عبد العزيز، ج٦، ص٢٣٢، والسيوطي في **الدرر المنتثرة**، ص ٢٧، وفي **الدر المنثور**، ج١، ص٣٢١، و المتقي في **كنز العمال** برقم ٣٤٦٢٣ في المجدد على رأس كل سنة ج٢، ص١٩٣، و الألباني في **سلسلته الصحيحة** برقم ٥٩٩ وقال: "السند صحيح ورجاله ثقات رجال مسلم"، ج٢، ص١٥١.

٩١- انظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ج ١٧، ص ١٢٧.

ونريد هنا أن ننظر في حال أمتنا اليوم من ناحيتين: الأولى: الاستطاعة. الثانية: التكاتف والتلاحم. فهل بذلت الأمة بمجموعها اليوم الاستطاعة في هذا الخصوص؟ إن نظرة منا إلى ما نشاهده ونطالعه، وما نسمعه يعطي جوابا بيّنا، لا يلتبس على ذي عينين وليس كلامنا هنا مع أفراد معينين أو مجموعات معينة، بل النظرة إلى مجموع الأمة كما ذكرنا فنستطيع أن نقول: إن الأمة لم تبذل جهدها في تحقيق التقوى وإعداد القوة في ضوء الاستطاعة كما أمرها الله تعالى بذلك.

وقد أحسن العلامة القاسمي رحمه الله تعالى إذ نبه إلى هذا فقال: "... ولما عمل الأمراء بمتقضى هذه الآية ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ أيام حضارة الإسلام، كان الإسلام عزيزا عظيما، أبيّ الضيم، قويّ القنا، جليل الجاه، وفير السنا، إذ نشر لواء سلطته على منبسط الأرض، فقبض على ناصية الأقطار والأمصار، وخضد شوكة المستبدين الكافرين، وزحزح سجوف الظلم والاستعباد، وعاش بنوه أحقابا متتالية، وهم سادة الأمم وقادة الشعوب... وأما اليوم فقد ترك المسلمون العمل بهذه الآية الكريمة، ومالوا إلى النعيم والترف، فأهملوا فرضا من فروض الكفاية، فأصبحت الأمة آثمة بترك هذا الفرض، ولذا تعاني اليوم من غصته ما تعاني ... إلخ"(٩٢).

وأما الناحية الثانية: فالأمر لا يختلف عن الناحية الأولى، فأين رجوع الحاكم إلى أخذ رأي الشرع في تصرفاته؟ وأين نصيحة أهل العلم للحاكم؟ وهل بذلنا الوسع في ذلك؟ إننا بحاجة إلى التأمل والتبصر، والاعتراف بالتقصير، وتصحيح الخطأ، حتى لا نخطئ فهم القرآن. وعلى الأمة أن تنهض في المطالبة بالعودة إلى تحقيق مبدأ الشورى والتكاتف والتعاون بين الراعي والرعية، والصدق في النصح وإرادة الخير، ونبذ التسلط والتعالي، والانتصار على النفس بعدم الانفراد بالرأي وفرضه بالقوة، ورحم الله حافظ إبراهيم إذ يقول:

رأي الجماعة لا تشقى البلاد به رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها(٩٣).

٩٢- انظر: محمد جمال الدين القاسمي، **محاسن التأويل**، ج ٤، ص ٥٧-٥٨.

٩٣- من قصيدته الطويلة في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، في **ديوانه**، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٣، ١٩٨٧م، ص ٩١ فقرة "عمر والشورى"، ومطلع هذه الفقرة:

يا رافعًا راية الشورى وحارسها جزاك ربك خيرًا عن محبّيها

لم يلهك النزع عن تأييد دولتها وللمنية آلام تعانيهـــــا

وقبل هذا البيت:

وما استبدّ برأي في حكومتـه إن الحكومة تغري مستبدّيها

ولا نريد هنا التكاتف الصوري والشورى الصورية ـ كما هو الحال عند بعض الناس ـ، لأن ضرر هذا بيّن، أورث الأمة ضررا فادحا، وأدى إلى تمزيق وحدتها، بأن يعرض الرأي للتشاور ثم يؤول الأمر قطعا إلى ما يريد صاحب الرأي لأسباب متعددة !

المطلب السابع: أثر الاستطاعة فيما يواجه الأمة من تحديات:

من عظيم فضل الله تعالى على هذه الأمة أن أتم عليها نعمته وأكمل دينه، وامتنّ عليها سبحانه وتعالى بذلك فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(٩٤)، فالإسلام دين الكمال، ولا يظهر جماله إلا إذا طبق بكماله. ولا يخفى أن الحرب قد أعلنت بوجه هذا الدين الحنيف منذ أيامه الأولى، من حين صدع النبي الأمين صلى الله عليه وسلم بكلمة التوحيد، داعيا إليها، ونابذا لكل أشكال الشرك والوثنية، فمنذ ذلك اليوم وإلى أيام الناس هذه والحرب مستمرة ضد الإسلام وأهله، لم تضع أوزارها بل هي مستمرة ما دام هناك إيمان وإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾(٩٥).

وقد أخذت هذه الحرب أشكالا متنوعة، وصبغت بفنون متعددة، ولولا تكفل الله تعالى بحفظ دينه حيث قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾(٩٦)، لما بقي من دين الله تعالى بقية، ولما استطاع أتباعه أن يثبتوا بوجه تلك التحديات، وما أصدق قول الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة رحمه الله تعالى إذ يقول في مفتتح كتابه **أجنحة المكر الثلاثة**: "لولا أن الإسلام حق بذاته، مؤيد بتأييد الله، محفوظ بحفظه، لم تبق منه بقية تصارع قوى الشر في الأرض، التي ما تركت سبيلا من المكر به إلا سلكته، ولا سببا في إطفاء نوره إلا أخذت به، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾"(٩٧).

ونحن هنا أمام دعامتين متينتين هما في غاية الأهمية، ولهما أثر بالغ فيما يواجه الأمة من تحديات:

١- بذل الجهد في تقوى الله تعالى.

٢- بذل الجهد في إعداد القوة كما أمر الله تعالى.

٩٤- سورة المائدة، الآية: ٣.

٩٥- سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

٩٦- سورة الحجر، الآية: ٩.

٩٧- سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

وكمال الإسلام ـ هنا ـ إنما يظهر في تحقيق الدعامتين معا، وأن التفريط بأحدهما يضرّ بالأخرى، والمقتصر على أحدهما من المكلفين لا يعتبر صادق الاتباع متى كان قادرا على الآخر، لإخلاله بأمر من أوامر الله تعالى، وذلك أحد معوّقات النصر، حيث أخلّ بأحد شروطه التي قال الله تعالى فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[98]، إذ طاعة الله تعالى شرط مهم من تلك الشروط، والأثر يظهر سلبا أو إيجابا بمقدار التحقق بذلك أو الإخلال به.

ومما يؤسف عليه أن ترى الأمة بمجموعها قد فصلت بين الدعامتين، على عكس ما كان عليه أسلافهم، فكان من آثار ذلك ونتائجه: أن من أغفل جانب إعداد القوة، واهتمّ بجانب من التقوى[99] كالعبادات ونحوها، آل أمره إلى واحد من اثنين: إما أن يمالئ الأعداء ويسايرهم، كما هو واقع بعض بلاد المسلمين، وإما أن يُضرب فلا يستطيع الصمود[100] أمام عدوه كما هو واقع بعض آخر! وكيف يصمد وهو لا يملك من السلاح ما يملك عدوه؟ وأما من أغفل جانب التقوى واجتهد في إعداد القوة، فقد أساء استخدامها، وذلك من ناحيتين:

الأولى: الإساءة إلى إخوانه وجيرانه من المسلمين، وإرهابهم بدل أن يرهب أعداءهم، فوجه السلاح إلى صدور الإخوة الأشقاء، بدل أن يوجه إلى نحور الأعداء!

والثانية: التصرف الخاطئ في استعمال تلك القوة، بما كان سببا في إلحاق الأذى بالأمة والإضرار بمصالحها، حيث التخبط بغير بصيرة، وعلى غير هدى من الله.

والأمثلة متعددة، لا تخفى على من يعيش هذا الزمن المليء بالمآسي المريرة[101] التي ألمت بالمسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ولعل خير مثال قريب هو ما حصل لبغداد[102] في تلك الليلة السوداء، حيث كان ضعف الإيمان والتقوى أو انعدامهما عند بعض المسؤولين، عاملا مهما في

٩٨- سورة محمد، الآية: ٧.

٩٩- إنما قلنا بجانب من التقوى، لأن التفريط في إعداد القوة مع الاستطاعة ليس من التقوى في شيء.

١٠٠- صمد صمدا وصمودا: ثبت واستمر، ومنه قول علي رضي الله تعالى عنه: "صمدا صمدا حتى يتجلى لكم عمود الحق": أي ثباتا ثباتا. إبراهيم أنيس وغيره، **المعجم الوسيط**، ج ١، ص ٥٢٢ مادة: صمد.

١٠١- مر الشيء مرارة: صار مرا، فهو مرير، وهي مريرة، والجمع مرائر. المرجع السابق، ج ٢، ص٨٦٢ مادة: مر.

١٠٢- وقع ذلك الحدث المفجع في ٩/ ٤/ ٢٠٠٣م.

ذلك السقوط المريع، يقول صاحب كتاب **الحرب الأمريكية على العراق**: "فقد ظهر أن الأطماع وتقلبات الأنفس والأمزجة التي لا نهاية ولا حدود لها، وحب الدنيا والتعلق ببريق الذهب ورائحة الأموال تغري العديد، خاصة ذوي النفوس الضعيفة ورفاق المصلحة، تجلى هذا في حفنة من الضباط الكبار، الذين لا ولاء ثابت لهم، لأنهم ليسوا من المؤمنين بالله، ولا جذر لهم عميق يشد سيقانهم للوطن، خانوا بلدهم وأنفسهم... وسلموا البلاد في ليلة حالكة مقابل حفنة من دولارات ملوثة ووعد بالسلامة والإقامة في أمريكا"، ثم يقول: "فلم يستدر صدام حسين[١٠٣] إلى الخلف ليرى الخنجر المرفوع خلف ظهره حتى تم إغماده إلى النصل في تلك الليلة السوداء، مؤكدا له بعد فوات الأوان أن الثقة المطلقة بغير الله، ثم المؤمنين الصادقين بعهدهم لله، هي مقتل مرجح تزداد كلما قل الإيمان وضعفت النفوس"[١٠٤]. وهكذا نرى أن غياب التقوى في مسيرة هؤلاء، غيرت مجرى الأمور إلى غير صالح المسلمين، ولو أن تكاتفا تمّ بين الفريقين، وربطاً بين الدعامتين، لكان حال المسلمين اليوم شبيها بحال أسلافهم يوم كانوا سادة الدنيا وقادة العالم.

إن واقع المسلمين المعاصر يقتضي دراسة متأنية، قائمة على التبصر والتحليل، للخروج بالدروس النافعة، ومن أبرزها: تشخيص الداء العضال بصورة بينة، في ضوء الأخطاء والتجارب، مع المقارنة بين ماضي الأمة وحاضرها، وتحليل النتائج والآثار التي ترتبت على ذلك في كلتا الحالتين، ثم وصف الدواء الناجع بصورة دقيقة، والإرشاد إلى كيفية استعماله بنصح صادق، وهمة قوية وعزم أكيد، يقوم على نية صافية، وإخلاص صحيح.

وإن هذه الأمة لعلى خير كثير، وهي عائدة إلى المنابع الصافية بلا ريب، ومتمسكة بهديها، حيث إن الكل بدأ يدرك أن لا نجاة مما هي فيه إلا بذلك[١٠٥]، وصدق من قال: "والله لن يصلح آخر هذه

١٠٣- كان رئيسا لجمهورية العراق قرابة ست وثلاثين سنة، ثم أطيح به عن طريق الغزو الأمريكي البريطاني للعراق عام ٢٠٠٣م، ثم قبض عليه في ديسمبر من العام نفسه، وتمت محاكمته من قبل محكمة قد شكلت في ظل الاحتلال الأمريكي، وحكم عليه بالإعدام، ثم نفذ الحكم شنقا في فجر أول أيام عيد الأضحى المبارك سنة ١٤٢٧هـ الموافق ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٦م وهو يردد الشهادتين.

١٠٤- انظر: عبد الكريم الجبوري، **دوافع وذرائع الحرب الأمريكية على العراق ـ خفايا الليلة السوداء**، دار الطليعة الجديدة، سنة ٢٠٠٤م، ص ١٣٠و ١٣٤.

١٠٥- الحقيقة أن كثيرا من مسلمي اليوم ـ إن لم نقل جميعهم ـ غدا على علم بداء الأمة ودوائها، ولكن المشكلة في القدرة على استعمال الدواء وكيفية استعماله !! فهي أشبه بمريض علم داءه ووقف على دوائه، ولكنه لا يدري لماذا لا يستعمله؟ فهو في حيرة من أمره، يحتاج إلى من يعينه !!! والله تعالى وحده هو الموفق والمستعان.

الأمة إلا بما صلح به أولها"، وإن ذلك لكائن عن قريب بإذن الله تعالى، فما بعد احتلاك الظلام إلا بزوغ الفجر، ذلك وعد الله، والله لا يخلف الميعاد، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(١٠٦).

الخاتمة:

ونذكر فيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج، بنقاط محددة على النحو الآتي:

١- الأخذ بالأسباب ـ حسية أو معنوية ـ من مقاصد القرآن الأساسية، والتأمل كفيل بالوقوف على ذلك.

٢- تكاليف الشرع كلها قائمة على بذل الوسع، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

٣- لفظ ﴿قُوَّةٍ﴾ في الآية الكريمة عام، شامل لكل مجالاتها العلمية والدعوية والسياسية والعسكرية والاقتصادية وغيرها.

٤- لقد وعى سلف الأمة مراد الله تعالى وطبقوه كما يريد جل وعلا، فكانت لهم ولدينهم العزة والغلبة والتمكين في الأرض.

٥- حين انحرف الخلف عن منهج السلف في ذلك، آل أمر الأمة إلى ما آل إليه، وفق سنة الله التي يقول فيها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

٦- بذل الجهد في تقوى الله تعالى، وبذل الجهد في إعداد القوة لمواجهة الأعداء، ينبغي أن يكونا أمرين متلازمين في حياة أمة الإسلام.

٧- وإن التفريق بينهما قد أضرّ بمجموع الأمة، فقادها إلى التفرق والتشرذم الذي يعانيه الكبار والصغار!!

٨- والمسؤولية في تحقيق ذلك تقع ـ في الدرجة الأولى ـ على الأمراء والعلماء، أما الأمراء: فلما آتاهم الله من ملك وما منحهم من إمكانات وسلطات، وأما العلماء: فلما لهم من مكانة ودراية، ولما عليهم من واجب النصح والبيان الذي أخذه الله تعالى عليهم.

التوصيات:

١- العمل على إنشاء مركز عالمي يقوم بتتبع ورصد كافة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية.

١٠٦- سورة التوبة، الآية: ٣٢.

٢- اختيار نخبة من العلماء المتخصصين من ذوي القدرات الفائقة، للعمل بتلك المراكز.

٣- إيجاد حلقات تواصل وترابط بين المراكز العلمية في العالم الإسلامي، لاسيما بين المجامع الفقهية وهيئات الإعجاز في القرآن والسنة، حيث إن فوائد ذلك وثماره غير خافية.

٤- توطيد الصلة بين العلماء والحكام، على سبيل التناصح بكل ما من شأنه النهوض بالأمة.

٥- تفعيل مثل هذه اللقاءات، ونشر الأبحاث وترجمتها إلى اللغات العالمية.

Capacity: piety and mobilization of force and its impact on facing challenges

Two verses in the Book of Allah Almighty drew the attention of the writer, he paused at them, contemplating, trying to discern the connection between them; the first one is about the preparation of the strength to face the enemy, and the second one is about piety and fear of God, both of them were brought together by the words used in the Quran: {as much as you can}. This paper discusses, apart from introductory remarks, the following issues:

definition of ability, of power, of scaring away the enemy, of piety and God-fearingness, relationship between piety and force preparation, the ability in the past and in the present, and finally, the impact of ability in countering the challenges that face the community.

These topics are followed by a conclusion that includes the most important results as well as some recommendations and proposals.

****